الاوسط . وكان العالم قد بدأ بالتنبه — في أواخر الثلاثينات — الى المراحل المبكرة من عملية اضطهاد النازيين للالمان اليهود . وكان حزب العمال البريطاني على نفور من الفاشية عموما ، لكن هذا الجانب بالذات من النازية — أي موقفها الاضطهادي من اليهود ، لاقى الاهتمام الاعظم ، واستغل الصهاينة بكل براعة هذه المسألة لما يخدم مصالحهم الخاصة . كانت أساليب الصهيونيين الاكثر تقدما في فلسطين ، في تجريد الاهالي من أراضيهم ، مستورة وراء التأكيد الكاذب بأن الشعب العربي العامل يرحب بهم ، وان شيوخ الاقطاع وحدهم يعارضونهم ، وانهم انما كانوا يبنون مجتمعا اشتراكيا في فلسطين . وفي مؤتمرات حزب العمال السنوية ، كانت هناك أصوات ترتفع معترضة وشاجبة، عاكسة أصداء التوجه المتوازن والمعقول الذي رسمه سيدني ويب ، لكن هذه الاصوات كانت كسابقتها ، ضئيلة في عددها ، هزيلة في ما تخلفه من اهتمام وتأثير .

وفي عام ١٩٣٦ اشتعلت « الثورة العربية » في فلسطين ، وفي اكتوبر — تشرين الاول من ذلك العام ، وقف اليكس جوسيب في مؤتمر حزب العمال في ادنبره ، يتحدث باسم اتحاد نقابات عمال الاتاث ، فقال : « ايمانا بأن مصالح الشغيلة اليهود والعرب في فلسطين واحدة ، وان المستغلين من الرأسماليين والاقطاعيين اليهود والعرب هم أعداء كل منهما ، فان هذا المؤتمر السنوي لحزب العمال يعرب عن عميق أسفه لان عمال فلسطين سمحوا لانفسهم بأن يستغلوا كأدوات بيد قامعيهم المشتركين ، ويحثهم على رص الصفوف للوقوف أمام الطبقات التي تستغل كلا الجنسين ».

وبعد أن أشار جوسيب في خطابه الى اضطهاد الفاشيين لليهود ، مضى الى القول : « ان العرب يقيمون في فلسطين منذ اكثر من الف عام . ولم يطلب أحد موافقتهم . ولم يقم احد بأخذ رأيهم بعين الاعتبار ، واني كعدو للامبريالية اقف أمامكم لاعلن ، باسم الاغلبية الساحقة من اعضاء اتحادنا، اننا نشجب بأقصى قدر من القوة ، هذه المكيدة التآمرية التي تدبرها الحكومة البريطانية ، مستفيدة من المصاعب التي أحاقت برفاقنا اليهود ، من أجل ان تخدم مصالحها الخاصة » .

ولقد أثنى على هذا الاقتراح هـ. لستر هتشينسون نائب حزب العمال عن دائرة روشولم ، الذي قال : « ان ما يجري في فلسطين ، هو صراع يقف في جانب منه العمال والفلاحون العرب ، وفي الجانب الاخر تكتل يتألف من الاقطاعيين العرب ، والامبرياليين البريطانيين والرأسماليين اليهود الصهيونيين (...) اني لأؤمن بأن المبدأ الصهيوني باقامة وطن قومي لليهود ، هو في أساسه مفهوم رجعي ، من وجهة نظر اشتراكية » .

لكن الاقتراح تلاشى عند رفع الايدي . وانتصر اقتراح صهيوني ، بصورة كاسحة ، وقدم بالنيابة عن اللجنة التنفيذية الوطنية ، ونال تزكية اخرى من عمال صهيون(١٩).

وفي مايو — أيار ١٩٤٠ ، بينما كانت المانيا النازية تكتسح غرب اوروبا بالحرب الخاطفة ، تشكلت الحكومة الائتلافية في بريطانيا برئاسة ونستون تشرشل ، وتولى وزراء حزب العمال عددا من الوزارات المهمة . وبعد تشكيل الائتلاف الحاكم بأيام قلائل ، انعقد مؤتمر حزب العمال في بورنماوث . واقترح سي. هامرسلي عن فرع حزب العمال في وذنجتون ، تعديلا لاقتراح صهيوني : « ان الوطن القومي اليهودي في فلسطين لا يمكن ان يوفر حلا كافيا للمشكلة اليهودية ، ومن الجهة الاخرى ، ان يتمكن من تأمين الاعتراف بحقوق العرب » .

ومرة اخرى ، أثنى لستر هتشينسون على تعديل هامرسلي باسم حزب العمال في روشولم ، وقال : « اني اعتقد بأن فلسطين نموذج ممتاز للسياسة الامبريالية « فرق تسد » . ففي مطلع الحرب الماضية حصل البريطانيون على دعم العرب ضد الاتراك ، بعد أن قطعوا لهم عهودا باقامة مملكة عربية مستقلة . وحين احتاج البريطانيون مساندة المتمولين اليهود في الولايات المتحدة الامريكية ، دفعوا بفكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ولقد حققوا لليهود وطنا قوميا ، والآن عادوا الى العرب من جديد . اننا نريد ان نقول ان الحركة العمالية لن تجيز هذا اللعب بشعب ضد شعب آخر ، بالطريقة التي يجري بها هذا التلاعب في فلسطين وفي الهند وفي ايرلندا » .

لقد هزم التعديل ، وفاز الاقتراح الاصلي الصهيوني « بأكثرية ساحقة للغاية »(٢٠).

وفي مؤتمر عام ١٩٤٤ الذي انعقد في ديسمبر —